تلك الشعبية شجّعت، بدورها، قيادة م.ت.ف. على تسريع التحوّل. وعززت السياستان، الاسرائيلية والاردنية، هذا الاتجاه، من خلال جعل المنظمة الخيار المجدي والاصيل الوحيد كمتحدث فلسطيني. وبسبب تلك الشعبية، استحال قيام بدائل محلية جدية في المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، قادرة على زعزعة مكانة م.ت.ف. او مكانة ياسر عرفات ، في منتصف الثمانينات. اذ ما زالت استفتاءات الرأي هناك تظهر شعبية م.ت.ف. ورئيسها بنسبة ٨٥ ـ ٩٥ بالمئة، على الرغم من كل الظروف التي أحاطت بالوضع الفلسطيني في الفترة الممتدة من ١٩٨٢ الى ١٩٨٦، بل وربما بسببها. ولم تؤد عشرون سنة من القمع الاسرائيلي، والمنافسة الاردنية، والاقتلاع المتكرر من الاردن ولبنان وسوريا، الا الى تعزيز الهوية الفلسطنية وتكريس موقع م.ت.ف. وشرعيتها.

## مصادرة الهوية والشرعية الفلسطينية في الثمانينات

ان تمرّد عدد من اعضاء وعسكريي «فتح» في ربيع العام ١٩٨٣، مما تطور ليصبح انشقاقاً رئيساً في داخل م.ت.ف. وأدى الى تشكيل جبهة ائتلافية منافسة تحت النفوذ السوري، ربما يبدو وكأنه يغاير التأكيدات المطروحة سابقاً حول نجاح قيادة م.ت.ف. في تغيير المسار السياسي وتعديل مصادر الهوية والشرعية في السياسة الفلسطينية. الا ان تعزيز مكانة ياسر عرفات في الارض المحتلة واظهاره، مراراً وتكراراً، مقدرته على اعادة بناء موطىء قدم في لبنان يشيران الى ان مصادر شرعيته هي الاقوى. ويضاف الى ذلك، ان التنظيمات المعارضة قد اظهرت شللاً، أو عجزاً، شبه تام عن اطلاق العمليات العسكرية المؤثرة ضد اسرائيل، فتعرض العديد منها الى تآكل واضح في حجم العضوية والتأييد الشعبي، منذ العام ١٩٨٣. وقد جاء الدليل النهائي على فوز عرفات بالمنافسة في نيسان (ابريل) ١٩٨٧، حين عقد المجلس الوطني الفلسطيني بدورته الثامنة عشرة، بالحضور الرسمي لاربعة تنظيمات معارضة رئيسة والوجود غير الرسمي لتنظيمين اضافيين. ليس ذلك فحسب، بل واختُتم المجلس بموافقة «الرافضين» على فكرة امكان ربط اية دولة فلسطينية مصغرة، مستقبلاً، بالاردن ضمن اتحاد كونفدرالي.

يتيح ما سبق الوصول الى استنتاجات اساسية عدة يتمثل أهمها في حقيقة لم تُصَغ، بعد، بوضوح واع ومقصود، ألا وهي ان تركيز الجهود كافة على تطوير استراتيجية فلسطينية واقعية ومجدية هو الذي يشكل المعيار الرئيس لقياس واضفاء الشرعية . بل ويمكن القول ان الالتزام الفعلي بالكفاح المسلح، وليس اللفظي، هو الذي يضفي الشرعية في اية حال. ولذلك، تمكّنت القيادة الفلسطينية، المتمثلة في عرفات، من ان تحتفظ بمصداقية أعلى طيلة السنوات الاثنتين والعشرين الماضية، وخصوصاً منذ العام ١٩٧٣ ؛ اذ انها وازت المرونة والجرأة الدبلوماسيتين بنشاط عسكري ملحوظ، خلافاً لبقية التنظيمات التي تراجعت ممارستها العسكرية كلّما ازدادت شعاراتها السياسية حدة. واليوم، يبقى العمل العسكري أداة هامة في السياسة الفلسطينية ؛ أداة يستخدمها «المعتدلون» و «البراغماتيون» اكثر من غيرهم؛ الّا ان الرؤية الشائعة لدى الفلسطينيين بأن عرفات يعبر عن المصالح الوطنية خير تعبير ويدفعها الى الامام تزوّده بهامش واسع للمناورة. ويعود ذلك، من ناحية، الى جاذبيته الشخصية وكافة العناصر التي تكوّنها، ومن ناحية اخرى، الى الجهود المضنية التي بذلتها م.ت.ف. منذ بداية السبعينات، لبناء شبكة واسعة من المؤسسات التي تخدم الاحتياجات السياسية والمعنوية والحياتية للشعب الفلسطيني. لقد تشكل، عبر الزمن، بفضل هذه العناصر، نوع من «الكيان» الفلسطيني، غير المرئي، تجسّدت ملامحه، مؤقتاً فحسب، في الدولة الكائنة بالتكوّن في لبنان، لكنه حي، مما ربط أواصر المجموعات السكانية الفلسطينية المتناثرة